القرون الاولى. وهو اليوم نادرٌ لانَّ الاختيار يقع حاضرًا على احد الكرادلة والكرادلة في الغالب اساقفة ولو كانوا من رتبة الكهنة كالبابا الجديد بيوس العاشر او من رتبة الشمامسة لانَّ هذه الرتب شرفيَّة لا تدلُّ على كون الكردينال كاهنًا او شماسًا فقط. وآخر بابا انتُخب وهو كاهن غريغوريوس السادس عشر سنة ١٨٣١

وعلى كل حال ان كان البابا المُنتخَب كاهنًا فلا بُدَّ من تكريسهِ اسقفًا ويتمُّ ذلك على يد رئيس اساقفة مدينة اوستيا على مألوف عادة قديمة جدًّا شهد عليها القديس اوغسطينوس منذ السنة ٤١١ في كتاب مجادلاتهِ مع الدوناتيين. ويكون تكريس البابا اسقفًا كتكريس غيرهِ من الاساقفة مع مراعاة بعض الامور التي تشير الى سموّ مقامهِ وعظم سلطتهِ والتي يطول هنا شرحها . وكذلك اذا كان البابا المنتخب شماسًا فقط فينبغي ان يقبل تكريس الكهنوت ثم الاسقفيَّة وهكذا جرى للاون العاشر البابا الشهير فانهُ لمَّا انتُخب كان شمَّاسًا فكُهِّن وسُقِّف بعد أيَّام. هذا ملخَّصٌ جمعنا فيهِ ما يستحبُّ القرَّاء معرفتهُ عند انتخاب الباباوات وتنصيبهم. ويبقى التتويج ولهُ حفلة خاصَّة يقيمها الاحبار الرومانيُّون بعد انتخابهم بمدَّةٍ

تتويج الاحبار الرومانيين

(لهُ)

افدنا القرَّاء في المقالتين السابقتين عن العادات الجارية في عاصمة الكثلكة عند وفاة الحبر الرومانيّ وعند انتخاب خلفهِ. بيد انَّ لهذه الرتب الجليلة خاتمةً بهيَّة لا تولي البابا الجديد سلطةً او تمنحهُ رتبة لكنَّها تزيدهُ في اعين الشعوب رفعةً وتكسبهُ اعتبارًا نزيد تتويج الحبر الاعظم

*

واعلم ان هذه حفلة التتويج لا يرتقي عهدها الى ما وراء القرن الثامن. واوَّل مرَّة ورد ذكر التتويج في التاريخ انَّما كان على عهد البابا لاون الثالث سنة ٧٩٥ وذلك ان ملوك فرنسة كانوا اوقفوا على الكرسي الرسولي املاكًا متَّسعة ومدنًا عامرة

عهدوا امرها الى الباباوات فكان الاحبار الرومانيُّون ملوكًا عليها يدبّرون شؤونها الزمنيَّة فضلًا عن احوالها الروحيَّة فاتَّخذوا حفلة التتويج كدليل على ملْ سلطانهم الروحي والزمني معًا

امَّا القرون السابقة فكان ينوب عن تتويج الباباوات جلوسهم على كرسيّ هامة الرسل الذي اهداهُ الى بطرس الرسول احد اشراف رومية من المتنصرين الاولين يدعى كورنيليوس بودنس وهو الى اليوم مصون في كنيسة مار بطرس. ولهذا الكرسيّ عيدٌ حافل في الكنيسة يُدعى عيد كرسيّ بطرس الروماني واقع في ١٨ ك ٢. فجلوسهُ المذكور كان يعتبر كضبطهِ لزمام السلطة واستيلائهِ على عنان التدبير

ومن العادات المرعيَّة ايضًا في القرون الاولى دخول البابا الى كنيسة القديس يوحنا اللاتراني التي تُعدّ كبيعة الاحبار الرومانيين الكاتدرائيَّة. فكان رئيس الكنيسة يدخلها بجلال وأبهة كما يدخل الملك مملكتهُ وصاحب الامر مركز اعمالهِ

وقد اطرأ على كل هذه الرتب في كرور الادهار تقلُّبات عديدة لا يسعنا ذكرها وانَّما نكتفي بوصف التتويج كما يجري في الغالب على عهدنا فنقول:

ليس لتكليل الباباوات يوم معلوم ومن ثمَّ يمكن تأخير ميعاد هذا الاحتفال على حسب راي الحبر الجديد. ولمَّا كان ذلك يقتضي عادةً استعدادات طويلة ربَّما أجّل موعدهُ الى عدَّة ايَّام بل الى بعض الاسابيع فانَّ المثلَّث الرحمات البابا لاون الثالث عشر لم يتوَّج الَّا في ٣ آذار وكان انتخابهُ جرى في ٢٠ شباط. امَّا بيوس العاشر فانَّهُ تُوّج في الاحد الاوَّل بعد انتخابهِ في ٩ آب الجاري لخمسة ايَّام مضت على تنصيبهِ حبرًا اعظم. وقد اعتاد الاحبار الرومانيون ان يؤرخوا براءاتهم ومناشيرهم من يوم تتويجهم لا من يوم انتخابهم. واذا دعا الامر الى ان يُرسل البابا مرسومًا قبل تتويجهِ لا يختمهُ بخاتم الصيَّاد بل يتَّخذ لذلك خاتمًا من الرصاص عليهِ صورتا القديسين بطرس وبولس دون اسمهِ وسنة حبريتهِ وانما يذكر في التاريخ انهُ صدر في اليوم كذا لمباشرتهِ الرئاسة الرسولية

واذا اظلَّ صباح العيد حُمل الحبر الاعظم في محفَّتهِ من قصر القاتيكان الى كنيسة مار بطرس يتقدَّمهُ كلُّ الكرادلة وعمَّال بلاطهِ بالبزَّات الرسمية وعلى جانبيهِ حاجبان يحملان المراوح الطاووسية. فينزل الموكب مارًّا بالدرج الملكي ويسير الى مدخل الكنيسة فيجلس الحبر الاعظم تحت رواقها الفخيم على عرش يُنصب امام الباب

المعروف بالباب المقدَّس الذي لا يُفتح الَّا في اوَّل سنة اليوبيل . واذا استوى على عرشهِ جلس حولهُ لفيف الكرادلة ثم يقوم اقدمهم من ذوي رتبة الكهنة ويخطب مرحّباً بقدوم كبير الاحبار الى كنيسة هامة الرسل ثمَّ يقدّم لقداستهِ كل عُمَّال الكنيسة من قانونيين واكليريكيين ومرشّحين للكهنوت فيقبّلون اقدامهُ بالتوالي

ثم يعود الموكب الى سيرهِ ويدخل الاب الأقدس الى الكنيسة فاذا تجاوز العتبة نفر الحرسُ الشرَفي بالابواق من شرفة عالية في وسط الكنيسة . وعند ما يبلغ الموكب معبد القربان الأقدس ينزل الحبر الاعظم من محفَّتهِ فيسجد لهُ ويواصل المسير الى المعبد المعروف باسم القديس غريغوريوس الكبير . وهناك عرشٌ يجلس عليهِ البابا فيأتيهِ الحضور من كرادلة وبطاركة واساقفة فيقدّمون لهُ آيات الخضوع

وفي اثر ذلك يلبس الكرادلة حُلَلهم الدينيَّة بينما يتلو القانونيُّون صلوات الساعة الثالثة . حتى اذا انتهت يعاود الموكب سيرهُ مارًّا بسوق الكنيسة الاوسط امام تمثال هامة الرسل الذي رسمنا صورتهُ في المشرق (ص ٥٧٩) حتى يبلغ الهيكل البابوي (راجع رسمهُ في الصفحة ١٩٦) وفي اثناء مسيرهِ يقترب رئيس التشريفات امام محفَّة البابا وفي يدهِ قضيبٌ فضي على طرفهِ مُشاقةٌ يُحرقها امامهُ قائلًا: « ايُّها الاب الأقدس هكذا يزول مجد العالم » . ويكرّر ذلك ثلاث مرَّات ليذكّر ابا المؤمنين بانَّ كلَّ شيء زائل في هذه الدنيا

واذا بلغ البابا الهيكل ابتدأ بالذبيحة المقدَّسة وبعد تلاوة صلاة الاعتراف يعود الى عرشهِ فيجلس عليهِ . واذ ذاك يأتي ثلاثة من اقدم الكرادلة الاساقفة فيصلُّون عليهِ ثلاث صلوات ويوشّحهُ اقدم الكرادلة الشمامسة بدرع الرئاسة (pallium) ويثبّتهُ بثلاثة دبابيس في راسها حجارة كريمة ذكرًا لمسامير صليب المسيح . ثم تغني جوقة المغنّين طلبة القديسين تليها قراءة الرسائل ثم الانجيل يتلوهما شمامسة غربيون باللاتينيَّة وشرقيُّون باليونانيَّة

ثم يقام القداس الحبريّ كمألوف عادة الكنيسة الغربيَّة لا يختلف في شيء الَّا في تناول القربان فانَّ الحبر الاعظم لا يتناولهُ عند المذبح بل في عرشهِ وهو واقف فيأتيهِ الشمَّاس الرسائلي بالجوهرة المقدَّسة فيأخذها من يده وينزع عنها قطعتين يناولهما شمَّاسَيْهِ ثمَّ يقدّم لهُ الشمَّاس الانجيلي كأس التقديس فيشربها

وبعد القدّاس يأتي اقدم الكرادلة من رتبة الكهنة محفوفاً بقانونيّي كنيسة مار بطرس فيقدّم للبابا كيساً من المخمل الابيض فيه ٢٥ قطعة من الفضّة تساوي كل قطعة نصف فرنك فيهديها الاب الأقدس كحسنة قدّاسه

ثم يُجعل التاج الاسقفي على راس البابا ويرقى المحفّة ويخرج من الكنيسة ثم يصعد ماراً بالسُلّم الملكي الى الطَنَف الواسع المشرف على ساحة مار بطرس الخارجيّة. وفي وسط هذا الطنف عرش عالٍ يُرى من بعيد فيستوي عليه الحبر الاعظم ويرتّل المرتلون آية النبيّ: «وعلى راسه اكليل من الذهب» ثم يتلو الكردينال اسقف أُستيا الصلاة الربية مع الدعاء الى الله «كي يهب الحبر الاعظم النعم اللازمة لتدبير الكنيسة فيكون أباً للملوك ومرشداً للمؤمنين»

وبعد الصلاة ينزع ثاني الكرادلة الشمامسة التاج الاسقفي عن راس البابا ويجعل عليه التاج المثلّث الاكاليل المختصّ بالاحبار الرومانيين وهذه الاكاليل الثلاثة تدلّ على السلطة المثلثة المعطاة من المسيح لرؤساء الكنيسة في شخص القديس بطرس وهي: اوّلاً سلطة التعليم المعصوم من الغلط (magisterium). وثانياً سلطة الاسرار المقدّسة والتصرّف بها (ministerium). وثالثاً سلطة التدبير والرئاسة (regimen) وهكذا ينوب البابا مناب السيد المسيح في رُتبه الثلاث الممنوحة له من ابيه السماوي كنبيّ وكاهن اعظم وراعي النفوس

وبعد التتويج يقوم البابا بكل جلاله ويرفع ذراعيه الى السماء ثم يصلّب ثلاثاً ويمنح البركة للالوف المؤلفة من الشعب المتزاحم في ساحة القديس بطرس وللمؤمنين المنبثين في العالم كلّه. ففي الساعة عينها كان يُسمع دويّ المدافع من حصن صَنت انجلو وتدقّ كل اجراس رومية ويهتف الشعف هتاف الفرح فتنتهي حفلة التتويج بهذه الرتبة الجليلة الآخذة بمجامع القلوب والابصار. وفي مساء النهار كانت المدينة تُنوَّر وتجري الألعاب الناريّة البديعة التي قلّما يصير مثلها في المسكونة كلّها

وكلّ هذه الرتب تُقام اليوم سرّاً في المعبد السكستيّ وردهات الفاتيكان منذ دخول الايطاليين في عاصمة الكثلكة واغتصابهم حقوق الكرسيّ الرسوليّ

*

وليس تتويج الباباوات آخر المظاهرات الحافلة التي كانت تجري بعد انتخابهم

وانما يلي ذلك رتبة أُخرى غاية في الأبهة والرونق وهي دخولهم في كنيسة قديس يوحنا اللاتراني حيث الكرسي البابوي اجل واعظم الكراسي البطريركية في العالم المسيحي

وهذه الرتبة كانت تتمّ سابقاً في يوم تتويج الباباوات ثم فصلت عنهُ منذ سنة ١٥٠٣ لطول الرتبتين معاً. وربَّما تأخرت من بعدهِ عدَّة أيام او اسابيع. وكان الباباوات يخرجون في ذلك اليوم من بلاط القاتيكان بموكب الفخر من مواكب الملوك بعظمتهِ ورونقهِ يتقدَّمهم الصليب المثلَّث الشُعَب فيركب الحبر الاعظم جواداً كريماً ويمشي بين يديهِ الكرادلة والامراء والاشراف وكلهم راكبون الخيل ولابسون الحلل الغالية الثمن. وفي القرون الاخيرة استبدل الباباوات الخيل بالعجلات الملكيَّة كما فعل بيُوس التاسع. وكان هذا الموكب الوسيم يمرُّ في الشوارع وكلُّها مزدانة بالزهور والطنافس او يجتاز تحت اقواس النصر البهيَّة. وكان عمَّال الحبر الاعظم يحملون صُرَر الدراهم فيفرّقها البابا في طريقهِ على الفقراء ثم أُبطلت هذه العادة فأُعطيت الدراهم سرًّا للمساكين يوم تتويج امام الاحبار

ولمَّا كان الموكب يبلغ الطريق القريبة من حصن صَنت أنجلو كان يخرج حاخام اليهود من الحيّ المختصّ بقومهِ فيسجد امام البابا شاكراً لهُ على حمايتهِ لاهل جلدتهِ في رومية ثم يقدم لهُ نسخة مخطوطة من توراة موسى قائلاً: « أيها الاب الأقدس نطلب اليك ان تُثبت السنَّة المعطاة لموسى الكليم وتؤيدها » فيجيب الحبر الاعظم انَّ الكنيسة تقبل التوراة كوحي الله عزّ وجلّ وتحفظها ككنز ثمين لما تجدهُ فيها من النبوَّات الواضحة عن المسيح الاله

وكان البابا اذا وصل الى كنيسة مار يوحنا اللاتراني ينزل فيجلس على عرش من الذهب يُنصب امام رتاج الكنيسة ثمَّ يلبس الثياب الحبريَّة ويجلس حولهُ الكرادلة على مقاعد كما فعلوا قبل دخولهِ في كنيسة القديس بطرس فيتقدم اليهِ الكردينال الموكولة الى ادارتهِ هذه الكنيسة فيخطب خطبة وجيزة ثم يقدّم لابي المؤمنين صينيَّة من الفضَّة المطليَّة بالذهب عليها الزهور العطرة وبين الزهور مفتاحا الكنيسة احدهما من ذهب والآخر من فضَّةٍ ثمَّ يجثو امامهُ كلُّ القانونيين وعمَّال الكنيسة فيلثمون قدميهِ

وفي اثناء ذلك يلبس الكرادلة حُلاهم وتُفتح ابواب الكنيسة فيدخل البابا على

محفَّتهِ من المدخل الاكبر مع كل حاشيتـهِ وعند دخولهِ يغنّي المغنُّون تسبحة الشكر (Te Deum) ويسير الموكب مارًّا امام هيكل القربان فينزل البابا مرَّةً اولى ليسجد لهُ ثم ينزل ثانيةً عند بلوغهِ مذبح الرسولين بطرس وبولس حيث تكرَّم هامتاهما في صوانٍ من الذهب مرصَّعين بالحجارة الكريمة . وينزل آخرًا عند حنيَّة الكنيسة وفي وسطها الكرسيّ البطريركيّ فيجلس عليهِ وهو لابس تاجهُ ويأتيـهِ الكرادلة خاضعين فيقبلون يدهُ وهو يعطي كل واحد نوطين جميلين من ذهب وفضَّة عليهما صورتهُ الكريمة

ومن العادات القديمة التي أُلغيت بَعد ذلك انَّ البابا كان اذا بلغ كنيسة مار يوحنَّا اللاتراني يجلس بالتوالي على كرسيين قديمين مرصَّعين بالعاج ثم يأتي احد كبار الاساقفة فيمنطقهُ بمنطقة رمزيَّة يُناط بها سبعة مفاتيح وسبعة ختوم اشارةً الى مواهب الروح القدس السبعة . ثم يجعل في يدهِ عصاة الرعاية المدلول بهـا على سلطتهِ . وكان المرتلون يغنُّون في اثنـاء ذلك قول النبيّ داود (مز ١١٢ : ٧) : « الرب ينهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسهُ مع العظماء عظماء شعبهِ » ثم كان يقوم البـابا ويرمي فوق رؤوس الشعب ثلاث قبضات من الدراهم يأخذها من كيسٍ يحملهُ الكمرلنغ ثم كان يدخل الكنيسة فيمنطقهُ قيِّمها بمنطقة أُخرى من الحرير عُلّق عليها همیان فيهِ اثنا عشر حجرًا كريمًا اشارة الى الرسل الأثني عشر الخاضعين لبطرس الهامة . وكانوا يجعلون مع الحجارة الكريمة طيباً وعطورًا دلالةً على الفضائل التي ينبغي للبابا ان يمارسها ليكون نفحـة المسيح الطيِّبة كما يقول القديس بولس (٢ كور : ١٥) وكان البابا يفرّق بعد هذا ثانيـةً قطعاً من الدراهم على البائسين وهو يقول آية داود (مز ١١١ : ٩) : « بدّد واعطى المساكين فبرُّهُ يدوم الى الابد »

وقد كان البابا يصعد بعد هذا الى الشرفة المتَّسعة التي فوق باب كنيسة لاتران ويمنح البركة ثانيةً للمدينة وللعالم (Urbi et Orbi) كما يفعل في كنيسة القديس بطرس . وفي ختام هذه الرتب كان الحبر الاعظم يدعو الكرادلة وكبار المنصَّبين وسفراء الدول الى مأدبةٍ عظيمة . ثم أُبطلت هذه الدعوة وأُعطي حقّ المأدبة للفقراء

فترى ما كان لهذا المشهد المهيب من العظمة والفخامة وقد اضطرَّ لاون الثالث عشر وبيوس العاشر الكفّ عن هذه الزيارة للكنيسة اللاترانية منذ صـار قصر

القاتيكان سجناً اختيارياً للاحبار الرومانيين لا يخرجون منهُ حتَّى تُرَدَّ لهم مملكتهم فيقومون بجلّ الحريَّة بما عهد الله اليهم من الشؤون الخطيرة لخير الكنيسة بل لصالح الانسانية

الفاكهة عموماً والعنب خصوصاً

بقلم الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

اذا ادَّت بك نسمات الصبح الى جنينةٍ فيحاء. او روضةٍ أُنف غنَّاء. وكان فصل الخريف قد عقد اللواء. اذهلك بها عدا ابتسام الازهار. وتغريد الاطيار. مرأى خمائل من وارف الاشجار. غُرست على مجاري المياه وضفاف الانهار. تميس بقدودها اللدنة واغصانها الرَّطيبة كالخرائد الحسان. في معاطف تزري بدوحات الجنان

واذا سرَّحت جياد الطرف بين ظلالها انتعش فؤادك جذلًا. وقد هزَّك السرور فاصبحت بهِ ثملًا. عند رؤية ما ازدان بهِ جيد تلك الافنان من قلائد الثمار. ممَّا يشرح صدر العليل وتقرّ بهِ الابصار. فمن عناقيد كرمةٍ نثرت عليها قطرات الندى دررًا. وأقناء نخلةٍ لاح سناها في سماء الروض غررًا. وكُرات رمَّان طلعت بين الاغصان خلتها انجماً زُهرًا

اجل فهي الفاكهة الحسناء. السائغة الرائقة السَّمحاء. أُوثرت منذ القدم بهجةً لعين الناظر ولذة شهية لذوق الآكل. فسبحان مبدعها وباريها. ومزيّن جمالها ومؤلف معانيها

فلمَّا كانت الثمار اليانعة ابهى حليةٍ في صدور الموائد لاسيَّما بجلاء هذا الفصل وقد غصَّت بها الحدائق والبساتين فعمَّ انتشارها وكثر اكلها وطلَّابها الى حدٍ يكاد يُخشى معهُ تجاوز خطَّة الاعتدال في استعمالها سواء كان من قبيل النوع او الكميَّة او ما شاكل ذلك ممَّا يؤدّي تناولها الى مخالفة بعض الشروط الصحيَّة احببنا ولو على سبيل التفكهة ان نكتب في هذا الصدد فصلًا وجيزًا علَّهُ لا يخلو من الفائدة العموميَّة المأثورة وهو جلُّ ما نتوخَّاه ونتوق اليهِ من صميم الفؤاد. فعليهِ نقول وبالله نستعين